مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاتحاد
التاريخ: ٢٠٠١/٦/٢٨

عن السادات وهيكل وأشياء أخرى

الثبات على الرأي والموقف الفكري شيء أولى بالتحية. لكن المشكلة في الثبات عندما يتحول إلى جمود في الرأي.. الصلابة أمر عظيم لكن التصلب أمر فادح..

كذلك القفز بين المواقف والأفكار تشتت وتشوه وتشويه لكنه قد يصبح -القفز نفسه - مرونة واتساع أفق ومراجعة وليس بالضرورة تراجعا.

إذن التبدل والتحول في المواقف والآراء ليس بالضرورة مذموما ومدحورا ولا الثبات محمودا مشكورا..

وأنا لا أفهم أن تكون ردود الفعل هكذا على كتابة الأستاذ (وهو لفظ يحمل رايا) محمد حسنين هيكل مقالا عن الرئيس السادات تحديدا حول الحادثة الأشهر التي وضع لها السادات عنوانا يلبي حاجته وبراعته في الآن ذاته لأضواء الدعاية وصخب الإعلام (وقفة مع الصديق) والتي اتخذ فيها إجراءات صارمة وهائلة ضد الصديق السوفيتي الذي لم يكن غيره ساعتها صديقا ولا سندا وهو ما أثار اليسار العربي (واليمين السوفيتي) على السادات وفعلته التي كانت يا للمفارقة دافعا كي يقوم السوفيت بدورهم أكثر بدلا من أن يغضبوا ويتراجعوا.

هنا يستحق الأمر وقفة مع كل الأصدقاء الذين أثارت مقالة هيكل حفيظتهم أو أهاجت مشاعرهم بالقبول أو الذهول.

المقالة بالغة الاهمية حقا وتعليق الزميل في الاتحاد (٧-٨ يونيو) لا يقل اهمية (مضادة لها في الاتجاه) وقد استغرق الزميل فيما تعودنا أن نحبهم او الذين تورطنا في التاثر العميق بهم. سلبا أو إيجابا وهو الوقوع العاطفي والفلسفي في المعاتبة أو المحاسبة لهم حين يغيرون آراءهم وتدفعنا العواطف والعواصف إلى وصف التغير الذي لحق بهم وليس فهم هذا التغير..

ننشغل بالأحكام والعقوبات السياسية أو الفكرية التي نهبط بها عليهم دون أن نتفهم الشروط الموضوعية التي دفعتهم، وتدافعت بهم لهذا التغير والتبدل.

النقطة الأساسية (وأنا أتحدث حول وعن وفي تعليق أيمن شرف) أن المراوحة بين الحب والكراهية التي نتهادى ونتهاوى فيها حين الحديث عن مواقف وتصرفات الزعامات السياسية هي نفسها التي دفعت هيكل إلى اتخاذ موقف متحزب ومتعصب ضد السادات في كتابه خريف الغضب وهو الأمر الذي يتعامل به الجميع مع موقف هيكل نفسه من السادات.

بعضنا يسعى إلى إعلان هيكل الاعتذار ورد الاعتبار للسادات

مخلوطا بالتشفي فيه (في هيكل) أو التأكيد على أخطاء السادات وخطاياد من خلال تعميد هيكل في كتبه ومقالاته لهذا الموقف المعارض والمناهض..

الحقيقة أن أول شروط التأمل المخلص لمقالات وكتابات هيكل حول السادات لا ينبغي أن تطمسها محاولات إثبات الخطأ أو العكس. والمؤكد أن هيكل كتب عن السادات كتابا منصفا تماما. وهو كتابه عن حرب أكتوبر (السلاح والسياسة) وهو الملمح الأول لانحسار الخصومات الشخصية لصالح تعامل أمين مع مواقف الرجل وقراراته.. ليس معنى ذلك أن هيكل نقى السادات من خطاياد كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، ولكنه أنصفه بأن تفهمه شروطا وظروفا. ولم يكن السعي إلى تقديس السادات أو تدنيسه (وهو السعي الفظ الملفوظ) هو الغرض (والمرض) من ذلك، ولكن كان السعي إلى صياغة الحقيقة وليس إلى تركيب الحقيقة.

ثم بدت الأحاديث الصحفية لهيكل عن السادات أو حوله ليست شغوفة بالطعن والطعان في الرجل بل كان هناك إملاء الموضوعية التي نزعت المشاعر حبا أو كراهية عن الآراء. فصار السادات عند هيكل هو السادات عند التاريخ وعند ربه. رجل له حسناته وسيئاته والحسنات

في السياسة تذهبن -على قدر المستطاع- السيئات. ثم ينهض المقال الأحدث لهيكل شاهدا على

الأمانة العلمية والتاريخية التي تبناها هيكل في الحديث عن السادات حين يقدم وقائع مواجهة السادات للسوفييت التي تؤكد على أن السادات لم يكن تابعا أبدا بل كانت تصرفاته وقراراته نابعة من الرغبة في إنهاض الوطن. وأن الموقف الذي اتخذه مقامرا أو مغامرا كان ناجحا وحصيفا.

لكن الأكثر وضوحا أن الذي يعتقده البعض إنصافا أو تراجعا (تجاه السادات) مردده هو الإدراك العميق لتراجع القيادات العربية. فبدلا من انعقاد محاكمة لهيكل حول أسباب رأيه كان واجبا الحديث عن نتائج رأيه التي تثبت أن التبعية لأميركا هي نتاج فقدان خيال زعامي وسياسي عربي في التعامل مع الإدارة الأميركية يستند إلى ضعف وانقياد وارتباط منافع وفساد سياسي ومالي مشترك وهذا هو المسكوت عنه رغم كل الثرثرة التي تطغى على واقعنا «الواقع».

إبراهيم عيسى